مفاتيح الخير

إعداد

القسم العلمي بدار ابن خزيمة

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. وبعد:

فإن من أَجَلِّ العبادات التي تُرْفَعُ بها الدرجات: المسابقة إلى فعل الخيرات.. وهي خصلة من طرق أبوابها، ولازم طريقها منحت له النجاة، وطيبت له الحياة، وفتحت له أبواب الجنة بعد الممات.

ولقد كان رسول الله ﷺ يسأل الله جَلَّ وعلا التَّوفيقَ إلى هذه الخصلة الجليلة ويقول: «**اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**». **[صحيح الترغيب: رقم ٣١٦٤]**

وفعل الخيرات يشمل: كلَّ خصال البِرِّ والفضل من الفرائض، والواجبات، والصدقات، والقربات، والإحسان، والمعروف، وبهذه الخصال الطيبة يتفاضل الخلق عند الله سبحانه؛ لأنها جميعها لوازم التقوى ومفرداتها: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ **[الحجرات: ١٣]**.

وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخيركم؟ قالوا: نعم. قال: خياركم أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أعمالاً**». **[صحيح الترغيب: ٣٣٦١]**

وثواب المسابقة إلى الخير ينفع صاحبه في الدنيا طيبة وسكينة وانشراحًا، وفي قبره منجاة وشفاعة.. في الحديث قال رسول الله

ﷺ: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون مدبرين؛ فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة، والصلاة، والمعروف، والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس، فيجلس قد مثلت له الشمس، وقد أذنت للغروب، فيقال له: أرأيت هذا الذي كان قبلكم، ما تقول فيه، وماذا تشهد عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان قبلكم، ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ قال: فيقول محمد: أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعدَّ الله لك..» الحديث.

أخي الكريم: وأنت إذا تأملت في أبواب الخير التي يفتح الله لك بها بركات الدنيا والآخرة وجدتها سهلة يسيرة، وهينة كثيرة، تجلي بيسرها وكثرتها رحمة الله بخلقه، ويسر دينه وشرعه، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وفي الحديث، قال رسول الله ﷺ: «**إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه**».

[السلسلة الصحيحة برقم: ٣٤٢]

* **التوحيد**: توحيد الله جل وعلا هو أول أبواب الخير وأوسعها، بل هو أساسها ومنطلقها؛ فلا يتصور خير إلا على أساس توحيد الله جل وعلا، والتوحيد: هو إخلاص العبودية لله وحده.

قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ **[محمد: ١٩]**.

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**﴾ **[المائدة: ٧٢]**.

وقال سبحانه: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ **[الكهف: ١١٠]**.

وقال سبحانه: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ **[العصر: ١-٣]**.

فالعمل الصالح مهما كان شأنه لا ثمرة له في الآخرة ما لم يؤسس على توحيد الله سبحانه واجتناب الشرك بكل أشكاله وأنواعه.. فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ، ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ بن جبل.

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. «ثلاثًا».

قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار**».

قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس، فيستبشروا؟

قال: «**إذًا يتكلوا**». وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا.

[رواه البخاري ومسلم]

أخي الكريم: وتذكر أن كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، تشفع لصاحبها يوم القيامة ولو لم يكن له من الخير إلا القليل؛ بل ورد في بعض الأحاديث نفعها لمن لم يعمل خيرًا قط؛ وذلك لما لهذه الكلمة العظيمة من الفضل عند الله سبحانه.

فمن قالها صدقًا، وعمل بها حقًا، فقد نال مفتاح الخير كله؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة**». [رواه مسلم].

والإخلاص في شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي اجتناب الشرك بكل أنواعه، صغيره وكبيره، جليه وخفيه، وأن لا يعبد إلا الله سبحانه، وأن لا يعبده إلا بما شرع سبحانه؛ ففيها إثبات لألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، كما أخبر عن نفسه سبحانه في كتابه، أو سنة نبيه.

ومما يدل على أنها أوسع خصال الخير مطلقًا ما جاء في الحديث الطويل إذ قال رسول الله ﷺ: «**يجمع المؤمنون يوم القيامة، فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر،**

خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصابه.. فيستحي ربه عز وجل من ذلك ويقول: لكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحًا، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته سؤاله ربه ما ليس به علم، فيستحي ربه من ذلك.. ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه فيقول: هناكم، ولكن ائتوا موسى عبدًا كلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتون موسى، فيقول: ليست هناكم.. ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس، فيستحي ربه من ذلك، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى، فيقول لهم: هناكم، ولكن ائتوا محمدًا عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا لربي تبارك وتعالى، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تفشع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا لربي تبارك وتعالى، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد! قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدًا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربي تبارك وتعالى، وقعت ساجدًا لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد! قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فإذا رفعت رأسي فأحمده

بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول: يا رب! ما بقي إلا من حبسه القرآن، فيخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة! ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة! ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». [صحيح الجامع برقم: ٨٠٢٦]

فهذا الحديث يبين فضل هذه الكلمة العظيمة: كلمة التوحيد.. وأنها نجاة لصاحبها المخلص في قوله.

* **التوبة من الذنوب:** لما كان المقصود من طَرْق أبواب الخير هو: تحقيق الفلاح، والنجاح، واجتناب الحسرة، والخسران- كانت التوبة إلى الله من الذنوب من أعظم أبواب الخير، وأوسع مفاتيح الرحمة؛ لذلك قال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: **٣١**]، وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ [التحريم: ٨].

أخي الكريم: تذكر أن أغلب ما يصيب ابن آدم من النكد والأوجاع هي بسبب الذنوب والمعاصي؛ فهي شرٌّ يتولَّد منه الشر؛ كما قال تعالى: ﴿**فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [**الشورى: ٣٠**]، ولذلك فإنه لا غنى لك عن التوبة في كل وقت وحين؛ حتى تغلق على نفسك أبواب الشر التي توجبها الذنوب والسيئات، وأيضًا لكي تفتح أبواب الخير التي يوجبها التوبة والاستغفار.

ولذلك جعل الله سبحانه تأخير التوبة ظلمًا يقترفه المسلم في حقه، وحقوق ربه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

قال النووي رحمه الله: «اتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها؛ سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة». **[شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/٥٩]**

حاسب النفس قبل يوم الحسابِ
وأذقها العذاب قبل العذابِ
وأصبها من الأسى بشواظ
ينضجُ اللحم قبل نضج الإهاب
وإذا ما بكت يومًا بدمعٍ
فبدمع من الفؤاد مشابِ
وحذار حذار أن تتهنا
بطعام تناله أو شرابِ
أو تنام في الليل حتى
تستبين المآل يوم المآبِ

بكى سفيان الثوري ليلة إلى الصباح، فقيل له: أبكاؤك هذا على الذنوب؟! فأخذ تبنة من الأرض وقال: الذنوب أهون من هذه؛ إنما أبكي خوف سوء الخاتمة.

أخي الكريم: تأمل في هذا الحديث.. وتأمل في رحمة الله بخلقه كيف تتفتق من كلماته ومعانيه.. لتجعل التوبة أوسع أبواب الخير.. وأسهل العبادات وأيسرها..

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «أَرَأَيْتَ مَنْ عَمِل الذنوبَ كلَّها ولم يَتْرُكْ منها شيئًا وهو في ذلك لم يَتْرُكْ حاجةً ولا داجَّة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال: «**فهل أسلمت؟**» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. قال: «**تفعل الخيرات وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك خيرات كلهن**». قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: «**نعم**». قال: الله أكبر. فما يزال يكبر حتى توارى». **[صحيح الترغيب والترغيب برقم: ٣١٦٤]**.

وهذا ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ **[الفرقان: ٧٠]**.

فقد كبر الرجل.. من شدة فرحه بهذا الفضل العظيم والثواب الكريم الذي جناه من توبته إذ علم أن الله سبحانه يبدل السيئات حسنات، وفي هذا أبلغ دليل على أن التوبة باب عظيم من أبواب الخير لمن فقه شأنها.

أتيت إليك يا رب العباد
بإفلاسي وذلي وانفرادِ
وها أنا واقف بالباب أبكي
زمانًا ما بلغتُ به مرادِ

عســـــى عفـــــو يـــــبلغني الأمـــــاني
فقـــــد بَعُـــــدَ الطريـــــق وقـــــل زادِ
فأنـــــت ذخـــــيرتي وبـــــك انتصـــــاري
وفيـــــك تـــــألهي وبـــــك اعتمـــــادي
ومـــــالي حيلـــــة إلا رجـــــائي
ومنـــك علـــى المـــدى حســـن اعتقـــادي
ولـــــو أقصـــــيتني وقطعـــــت حبلـــــي
وحقـــك مـــا أحـــول عـــن الـــوداد
فجـــد بـــالعفو يـــا مـــولاي وارحـــم
عُبيـــدًا ضـــلَّ عـــن طـــرق الرشـــاد

والتوبة الصادقة الجازمة هي التي تمحو ما قبلها من السـيئات، وتكفه عمَّا كان يتعاطاه من الدناءات، وذلك بأن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم علـى أن لا يفعل ذلك في المستقبل». **[تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٤١٨]**

ومن الخير الذي تستفتحه التوبة ما ذكره ابن القيم رحمـه الله فقال: «إن التوبة توجب للتائب آثارًا عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدونها، فتوجب له من المحبة والرقـة واللطـف وشكر الله وحمده والرضا عنه عبوديات أخر؛ فإنه إذا تاب إلى الله تَقَبَّلَ اللهُ توبته؛ فرتب له على ذلك القبول أنواعًا من النعم لا يهتدي العبد لتفاصيلها؛ بل لا يـزال يتقلَّـب في بركتـها وآثارها ما لم ينقضها ويفسدها.

ومنها أن الله سبحانه يحبه ويفرح بتوبته أعظم فرح، وقد تقرر أن الجزاء من جنس العمل، فلا ينسى الفرحة التي يظفر بها عند التوبة النصوح، وهذا أمر لا يحس به إلا حي القلب، وأما ميت القلب فيجد الفرح عند ظفره بالذنب، ولا يعرف فرحًا غيره، فوازن إذًا بين هذين الفرحين وانظره ما يعقبه فرح الظفر بالذنب من الأحزان والهموم والغموم والمصائب، فمن يشتري فرحة ساعة بغم الأبد؟ وانظر ما يعقبه الظفر بالطاعة والتوبة النصوح من الانشراح الدائم والنعيم وطيب العيش».

[مفتاح دار السعادة/ لابن القيم ١/٢٩٤]

* **الصلاة**: فهي باب الخير الأعظم، ومفتاحه الأيسر، من أقامها بحقها، فقد أقام دينه الذي هو سر سعادته وفلاحه، وأساس خيره وصلاحه، كيف لا وهي أحبُّ الأعمال إلى الله سبحانه بعد توحيده وفلاحه وأساس خيره وصلاحه؟! فقد سأل ابن مسعود رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة لوقتها**». قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**». قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**». **[رواه البخاري ومسلم]**

والصلاة لوقتها؛ أي حين ورود وقتها والنداء لها؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ **[النساء: ١٠٣]**.

والخير الذي تثمره الصلاة أكبر من أن يذكر، وأكثر وأكثر؛ فهي منهاة عن الإثم والفواحش؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ **[العنكبوت: ٤٥]**.

وهي ماحية الذنوب وساترة العيوب؛ كما قال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟** قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**». **[رواه مسلم]**

وقوله ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**».

[رواه مسلم]

وقوله ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا، ما تقول ذلك يبقي من درنه؟** قالوا: لا يبقي من درنه شيئًا، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**».

[رواه البخاري ومسلم]

ومنها: أن الصلاة يكشف الله بها الهم والغم وينجي بها من الآفات والأمراض؛ فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة، وكان يقول: «**أرحنا بها يا بلال**»، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ** ﴾ [المعارج: ١٩-٢٣].

ألا إن في الصلاة الخـــير والفضـــل أجمـــعُ
لأنَّ بهـــــــا الأثـــــــارب لله تخضـــــــعُ
وأول فـــــــرض في شـــــــريعة ديننـــــــا
وآخــــر مـــا يبقـــى إذ الـــدين يرفـــعُ
فمـــن قـــام للتكـــبير لاقتـــه رحمـــة
وكـــان كعبـــد بـــاب مـــولاه يقـــرعُ
وكـــان لـــربِّ العـــرش حـــين صـــلاته
نجيًّـــا فيـــا طـــوبى لـــه حـــين يخشـــعُ

* **التقوى**: ولأنها وصية الأولين والآخرين فهي بذلك تعد من أعظم مفاتيح الخير؛ لأن من سلك طريقها نال الوقاية من الشـــرور كافة، وحيز له الخير أجمع؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ**﴾.

وهي المخرج من ضيق الصدر، وشدة الكرب، وقلة الـــرزق، وكثرة الهم، واشتداد الغم، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾.

وكما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ **[الطلاق: ٤]**.

ولذلك كانت التقوى هي الوصية الجامعة التي تشمل ســـائر أبواب الخير، فهي إقامة للأوامر، واجتناب للنـــواهي والزواجـــر، ومسارعة في الخيرات الفواضل!

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**».

[رواه الترمذي].

* **الدعاء**: أخي الكريم.. إن الدعاء من أعظم العبادات التي يحبها الله جل وعلا، وهو في الوقت نفسه من أيسرها وأسهلها، وكان عمر ﷺ يقول: «إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء!».

وقال رسول الله ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**».

فلا تكن عاجزًا عن طرق هذا الباب، ولزوم عتبته، فبه يغفر ذنبك، وبه تقضي حاجاتك، وبه تستجاب سؤالاته، وتقبل ابتهالاتك..

قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة. قال ربكم**: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾». **[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]**

ومن الأدعية التي تفتح بها أبواب الخير والفضل: «**اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبد ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرًا**».

[انظر: السلسلة الصحيحة برقم: ١٥٤٢]

* **الجليس الصالح**: فإن الجليس الصالح لا يكون إلا خيرًا على صاحبه، فهو عون على العبادة، وعدة على الشدائد، يدل على الخير ويعين عليه، وينهى عن الشر والفحشاء، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**».

[السلسلة الصحيحة برقم: ١٣٣٢]

وفي حديث آخر: «**عند الله خزائن الخير والشر، مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير**».

[انظر: صحيح الجامع برقم: ٤١٠٨]

أخي الكريم: فاحرص على مصاحبة الأخيار ينالك خيرهم، ويعمك صلاحهم وبرهم، ويفتح الله لك من الخير مثلما يصيبهم، فإن كلبًا ذكره الله في القرآن فنال شرف الذكر فيه بصحبته لفتية الكهف الصالحين، قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ **[الكهف: ١٨]**.

أنت في الناس تقاس
بمن اخترت خليلاً
فاصحب الأخيار تعلو
وتنل ذكرًا جميلاً

واحذر من مصاحبة المنحرفين؛ فإنهم إن لم يؤذوك بكلامهم غرورا بك بأحوالهم؛ فإن الطباع نقالة.. والصاحب ساحب.

ولا تجلـــــس إلى أهـــــل الـــــدنايا
فـــإن خلائـــق الســـفهاء تعـــدي

وتأمل في وصية رسول الله ﷺ وهو يدعوك للنظر في رفقائك وخلانك قبل مرافقتهم وخلتهم، قال ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**».

وما أصيب من أصيب من الشباب في دينه وأخلاقه إلا من قبل رفقاء السوء.. الذين هم مفاتيح الشر!

* **الإحسان إلى الخلق**: فإنه باب من أبواب الرحمة.

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وصور الإحسان إلى الخلق كثيرة ومتنوعة وهي باب واسع يشمل كل معروف ومن ذلك:

- **الصدقة وقضاء الحوائج**: قال ﷺ: «**على كل مسلم صدقة، فإن لم يجد فيعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق، فإن لم يستطع، فيعين ذا الحاجة الملهوف، فإن لم يفعل فيأمر بالخير، فإن لم يفعل، فيمسك عن الشر، فإنه له صدقة**».

[انظر: صحيح الجامع برقم: ٤٠٣٧]

وقال رسول الله ﷺ: «**أنفق يا ابن آدم ينفق عليك**».

[رواه البخاري ومسلم]

وقال ﷺ: «**الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار**». **[رواه البخاري ومسلم]**

وفضائل الصدقة كثيرة جليلة؛ فهي ستر للعيوب، ومغفرة للذنوب، وفاتحة للأرزاق، وشارحة للصدور، ورافعة للدرجات عند الله: ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ** ﴾.

وأما السعي لقضاء الحوائج فهو باب عظيم من أبواب الخير، يجزي الله عليه بمثله، ويزيد!

فقد قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه به كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**». **[رواه البخاري ومسلم]**

* **كفالة اليتيم والسعي على الأرملة والمسكين**: فقد قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما**». **[رواه البخاري]**

وقال ﷺ أيضًا: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»، وأحسبه قال: «**وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر**». **[رواه البخاري ومسلم]**

* **التجاوز عن المعسر**: قال ﷺ: «**حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان رجلاً موسرًا وكان يخالط الناس، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، فقال الله عز وجل لملائكته: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه**».

[انظر: صحيح الجامع برقم: ٣١٥٩]

أخي الكريم: إن صور الإحسان إلى الخلق كثيرة.. ولربما تيسر لك بعضها في وقت أو في حال و لم يتيسر لك في وقت أو حال آخر؛ لذلك فإن طرق هذا الباب كيفما كان حالك وأمرك متيسر لديك؛ لأنه يشمل كل خير تبذله في سبيل الله؛ سواء كان كلمة طيبة، أو نفقة بالمال، أو عونًا على حاجة، أو نصرة أو غير ذلك من خصال الإحسان التي يحتاجها الناس، وفي قوله ﷺ: «**الدَّالُّ على الخير كفاعله**». **[انظر: صحيح الجامع، رقم: ١٦٠٥]**

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «وهو [أي الله سبحانه] رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرُّحَماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعَفُوٌّ يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظَّ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبَرٌّ يحب البر وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل المعاذير، يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا!!

فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن

أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه.. ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة».

[الوابل الصيب/ ص٨٦]

* **بر الوالدين وصلة الأرحام**: وهذه الخصال من الخصال الواجبة بالإجماع، وهي من أعظم أبواب الخير، ومفاتيح الرحمة والرزق، وعمار الديار، وزيادة الأعمار، قال ﷺ في شأن الوالدين: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة**». **[رواه مسلم]**

وعن ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أَحَبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة لوقتها**»، قلت: ثم أَيٌّ؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

[رواه البخاري ومسلم]

وإذا كان بر الوالدين جزاؤه الجنة، فإن صلة الأرحام فضلها أعجل الثواب، فمن خيراتها: انبساط الرزق، والزيادة في العمر، ودفع ميتة السوء، ودخول الجنة، والبعد عن النار، ورفع الدرجات، وصلة الله له، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**».

[رواه البخاري ومسلم]

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر**».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**».

* **حسن الخلق**: فهو أثقل موزون يوم القيامة، كما قال رسول الله ﷺ: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**».

[رواه أبو داود]

وقال النبي ﷺ: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**».

[رواه البخاري ومسلم]

وهذه الخصلة هي الباب الذي يكثر رواده دخولاً إلى الجنة يوم الحساب؛ فقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «**تقوى الله وحسن الخلق**». وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار. قال: «**الفم والفرج**». **[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]**

وحسن الخلق باب خير لصاحبه في الدنيا والآخرة، فهي خصلة محمودة في كل الملل والنحل، والعقول والأديان، وقد جبلت الأنفس على حب صاحبها ومكتسبها، لذلك يناله خيرها رفعة وسمعة واحترامًا بين الناس، ويناله خيرها ذخرًا وثوابًا يوم القيامة.

قال بعض الحكماء: «الحسن الخلق، مــن نفســه في راحــة، والناس منه في سلامة، والسيء الخلق: الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء، فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصــافوه، وقــل معادوه، وتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانــت لــه القلــوب الغضاب».

أحســن إلى النــاس تســتعبد قلــوبهم
لطالمــا اســتعبد الإنســانَ إحســان

* **فضائل الأعمال:** وشعب هذه الفضائل تشمل سائر القربات المشروعة، والعبادات المسنونة..

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقال: «**ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين. ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّـا رَزَقْنَـاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾**». **[رواه الترمذي، وهو جزء من حديث طويل]**

وما نص هذا الحديث على هذه الخصال الثلاثة بكونها أبواب الخير، إلا لعظم شأنها وثوابها عند الله.

* **قيام الليل:** وهو أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة، كمـا قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحــرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**». **[رواه مسلم]**

«والليل موسم لتنزل الرحمات، ولنزول رب الأرض والسموات، وهو وقت فاضل؛ فعليك باغتنامه؛ فعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه، وذلك كل ليلة**». [رواه مسلم]

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات ومنهاج عن الإثم**».

امنع جفونك أن تذوق منامًا
وذر الدموع على الخدود سجاما
واعلم بأنك ميت ومحاسب
يا من على سخط الجليل أقاما
لله قوم أخلصوا في حبه
ورضوا به فاختصهم خدامًا
قوم إذا جن الظلام عليهم
باتوا هنالك سجدًا وقيامًا
خمص البطون من التعفف ضمرًا
لا يعرفون سوى الحلال طعاما

* **الصوم**: ومن أبواب الخير أيضًا الصيام؛ فإنه منجاة من النار؛ كما قال ﷺ: «**من صام يومًا في سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام**». **[انظر: صحيح الجامع برقم: ٦٣٣٠]**

وأفضل الصوم صوم رمضان وهو فاتحة الخير والفضل، قال ﷺ: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَت الشياطين ومردة الجن، وغُلِّقَت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة**». **[رواه الترمذي]**

ومن الأيام التي يستحب صيامها رغبة في الخير، صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام الاثنين والخميس، وصيام عاشورا، وصيام ستة أيام من شوال، وصيام يوم عرفة لغير الحاج.

* **الذكر**: فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله عز وجل**». **[رواه الترمذي]**

فهذا الحديث نص في أن الذكر أسهل العبادات وأكثرها ثوابًا، وما امتن الله على عبد كامتنانه عليه بالتوفيق لذكره؛ لأن العمل فيه قليل والثواب عليه جزيل، وهذا من صور رحمة الله بالخلق، ومن يسر الدين وسماحة الشريعة.

فشمِّر أخي الكريم واظفر بهذه الغنائم.. تكن لك ذخرًا وخيرًا يوم القيامة.

خاتمـــــة

أخي الكريم: تلك أبواب الخير قد فتحت بين يديك.. وها هو هدي النبوة يدعوك إليها رجاء رحمة تنالك.. فتطيب بها أحوالك..

قال رسول الله ﷺ: «**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشـــاء مـــن عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يؤَمِّنَ روعاتكم**».

[السلسلة الصحيحة برقم: ١٨٩٠]

واعلم أن الخير كل الخير هو ما ينتظرك في مآلك؛ فقد قـــال النبي ﷺ: «**إنما الخير خير الآخرة**». **[السلسلة الصحيحة: ١١٠٢]**

إلى دنياك انظـــر باعتبـــار تجـــدها دار ذل واختبـــار

وهذه الوظائف المنثورة ما هي إلا أصول لمفاتيح الخير عامـــة؛ وإلا فإن خصال الخير من السعة والكثرة لا يجمعه مثل هذا الكتاب، فتقوى الله مثلاً أصل عظيم تندرج تحته كل الأحكام مضبوطة كلها بمخافة الله جل وعلا وخشيته، وهكذا الدعاء، والـــذكر، فكلـــها أبواب جامعة لشعب كثيرة من الخير والفضل.

ويحسن بكل راغب في الخير أن يتعلم أصوله، وأن يشتد حرصـــه على حفظ شعبه، ومعرفة طرائقه، والفقه في تفاضله؛ حتى لا يقدم مـــا يجب عليه فعله من الخير على ما يستحب، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**الخير عادة، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.